عـــروض موقعة

رقصة الموت لأوجست سترندبيرج

نبيل فرج

كاتب وناقد

سترندبيرج، أوجست.

رقصة الموت/ تأليف أوجست سترندبيرج ؛ ترجمه لويس عوض عن الترجمة الفرنسية التى أعدتها مرجريت دوراس ؛ تقديم أحمد سخسوخ .- ط١ .- القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠٠٨ . - (المشروع القومى للترجمة)

١٦٤ ص ؛٢٠سم .- (سلسلة ميراث الترجمة ؛العدد ١١٩٨)

أولا: المترجم :

بعد ثمانية عشر عاماً من رحيل لويس عوض (١٩١٥ م- ١٩٩٠م) ، عثر شقيقه رمسيس عوض وسط الأوراق التى خلفها على مخطوطة نادرة عبارة عن ترجمة عربية بقلم لويس عوض لمسرحية الكاتب السويدى أوجست سترندبيرج "رقصة الموت" . وفى أقل من شهر صدرت الترجمة فى سلسلة "ميراث الترجمة "بتقديم أحمد سخسوخ .

ولأن التقديم لا يتضمن إشارة من قريب أو بعيد إلى هذا الحدث الثقافى الذى تظهر فيه هذه الترجمة للويس عوض بعد هذه السنوات من رحيله ، فقد بدا للقارئ كأنه مقتطع من دراسة أطول عن سترندبيرج ، خاصة وأن التقديم يخلو أيضاً من أي كلمة عن أسلوب المترجم ومنهجه فى الترجمة .

وللويس عوض إنتاج كبير فى مجال الترجمة ، بدأ بترجمة "فن الشعر" لهوراس فى عام١٩٤٥ م ، "وبرومثيوس طليقا" لشيلى فى عام ١٩٤٦م صدرا عن مكتبة الأنجلو المصرية ، وفى نفس هذه السنة ١٩٤٦م صدرت له عن دار الكاتب المصرى ترجمة "صورة دوريان جراى" و"شبح كانترفيل" لأوسكار وايلد . ثم صدرت له فى عام ١٩٧١م عن دار المعارف رواية "الوادى السعيد" لصامويل جونسون التى ترجمها فى باريس فى عام ١٩٤٦م ، وظلت مخطوطة ربع قرن .

وترجم لويس عوض أيضاً لشكسبير "خاب سعى العشاق" فى عام ١٩٦٠م ، نطونيوس وكليوباترا فى عام ١٩٦٧م ، وقد أعيد طبعها مع كتابة "البحث عن شكسبير" فى مجلدوا حد صدر عن الهيئه المصرية العامة للكتاب فى عام ١٩٨٩م .

ومن التراث اليونانى ترجم لاسخيليوس مسرحيات "أجاممنون "و"حاملات القرابين" "والصافحات" فى السنوات ١٩٦٦م ، ١٩٦٨م ، ١٩٦٩م . وقد جمعت المسرحيات الثلاث أيضا بعد ذلك فى مجلد واحد صدر عن هيئة الكتاب فى عام ١٩٨٧م .

كما ترجم لويس عوض عدداً من "نصوص النقد الأدبى عند اليونان "صدرت عن دار المعارف فى عام ١٩٦٥ م وكل هذه الأعمال المترجمة بأمانة وأسلوب رفيع تحوى مقدمات ضافية تلقي أضواء كاشفة على الوسط التاريخى الذى وضعت فيه هذه النصوص ، وعاش فيه كتابها .

فى هذه المقدمات التى يقدم بها لويس عوض لترجماته إشارات عديدة إلى ما جذبه لترجمة ما ترجمه إما على مستوى الصورة أو المادة بما يؤكد أنه لم يكن يهتم سواء فى الترجمة أوفى النقد إلا بالروائع الأدبية ، أو بالنماذج الممثلة لآدابها وثقافتها وحضارتها ، على أن يكون الإبداع من المدرسة التى ينتمى إليها ، وهى المدرسة التى تعتني بالحقيقة حاملة شعار "الأدب فى سبيل الحياة "لاشعار "الفن للفن" إلافى حالات استثنائية جدا ، اضطر فيها إلى غض النظر عن الحقيقة من أجل الفن والجمال . وداخل هذا الإطار لم يكن لويس عوض يجد حرجاً فى ترجمة ما سبق ترجمته من نصوص إذا وجد أنها تتحمل هذه الترجمة ،ويترك لغيره من المترجمين ما يمكن لهم أن يقوموا به بالنسبة لأعمال لاتحتاج إلى جهد الأستاذ وثقافته العريضة .ومن الواضح أن لويس عوض منذ السبعينيات انقطع عن الترجمة اكتفاء بما قدم .ولهذا كان العثور على هذه الترجمة حدثا له وقع المفاجأة المثيرة للأسئلة : لماذا لم يحفل لويس عوض فى حياته بنشرها ، خاصة وأنه لم يكن يعوزه الناشر الذى يرحب بكل ما يقدمه له؟!

ولماذا لم يكتب لها مقدمة كما تعود فى كل ما ترجم من نصوص ؟!

وعلى الرغم من أن لويس عوض كتب فى مقالاته ودراساته النقدية عن عشرات الكتاب المسرحيين من الشرق والغرب ومن التراث القديم والكلاسيكيات الحديثة فليس فى هذه الكتابات كلها التى جمع معظمها فى كتابيه "المسرح العالمى" الصادر عن دار المعارف عام ١٩٦٤م ، وأقنعة أوروبية الصادر عن دار ومطابع المستقبل عام١٩٨٦م ، مقالة واحدة عن سترندبيرج أو عن احدى مسرحياته بما فيها هذه المسرحية التى عكف على ترجمتها ، ولم يعرف أحد عنها شيئا على كثرة المقربين منه فى كل مراحل حياته ، الذين كانوا ، يعرفون كثيرا عنه وعن خططه الأدبية القادمة . وتتعين الإشارة إلى أنه ليس فى المكتبة العربية غير عدد ضئيل جدا من المسرحيات المترجمة لسترندبيرج ،لعل أهمها ترجمة إدوار الخراط لمسرحية "سوناتا الشبح" التى صدرت عن المجلس الأعلى للثقافة فى المشروع القومى للترجمة ضمن مجموعة من المسرحيات القصيرة بعنوان " الغضب وأحلام السنين" عام ٢٠٠٣م ، أما عن سترندبيرج فلاشك أن أهم ماكتب عنه فى اللغة العربية بحث درينى خشبة عنه الذى نشر فى مجلة

"المجلة" فى العدد الخاص عن المسرح الذى صدر فى مارس عام ١٩٦٦م .

وأغلب الظن أن ترجمة لويس عوض لمسرحية سترندبيرج تمت بعد قراءة هذا البحث الزاخر بالمعلومات عن هذا الكاتب العالمى ، وعن أعماله المسرحية .

وهناك أيضاً الفصل الذى كتبه على الراعى فى كتابة "فن المسرحية" (كتب للجميع ، نوفمبر عام ١٩٥٩م) عن الشخصية من الداخل فى مسرحية سترندبيرج "الآنسة جوليا" . ويتناول فيه على الراعى الحياة الخارجية الظاهرة والحياة الباطنة المنعكسة على الواقع فى هذه المسرحية التى تحقق التطور لشخصياتها مع احتفاظها بمقوماتها الأساسية ، وأبرزها التناقض السافر فى السلوك .

ويترجم على الراعى فى هذا الفصل جزءاً من مقدمة سترندبيرج للمسرحية ,يشير فيها إلى المراحل الحضارية السابقة واللاحقة لشخصياته على نحو ما تشاء ,وهى شخصيات تستعير الضعيفة منها كلمات الشخصيات القوية ,تأكيداً لهذا التطور الذى ينمى الأحداث ,وتقبل كل الشخصيات لأفكار بعضها البعض .

ثانياً: المؤلف:

أوجست سترندبيرج (١٨٤٩م- ١٩١٢م) ألمع كتاب السويد فى العصر الحديث .

ومن النقاد والكتاب من يعده من أفضل كتاب المسرح فى تاريخه الطويل . كتب القصة القصيرة والمسرحية والمقالات والترجمة الذاتية . ولكن شهرته ككاتب مسرحى . ألف ما يزيد عن خمسين مسرحية فاقت شهرته فى كتابة هذه الأشكال . نشأ فى ظل ظروف أسرية صعبة من الفقر والاثم يفتقد فيها دفء الحب . فقد كانت أمه فتاة ضائعة ,ولنقل بصراحة إنها كانت "فتاة ليل" تعمل فى احدى الحانات . حملت بابنها أوجست قبل أن تتزوج من أبيه الذى تحدى أسرته من أجل الزواج منها . وقد عانى الابن كثيراً فى طفولته من هذا الوضع المشين الذى غرس فى نفسه ليس فقط كرهه هذه الأم وكرهه المجتمع, وإنما كرهه جنس المرأة ومع هذا فقد كان فى أعماقه يحب أمه . لم يستطع أن يتخلص من تعلقه الفطري بها ,بما ضاعف من أزمته النفسية التى بلغت قمتها بعد وفاتها .

ورغم هذا فقد تزوج ستريندبيرج ثلاث مرات . كانت زوجته الأولى سيرى امرأة مطلقة وممثلة ، واستمر زواجه بها خمس عشرة سنة ، بينما لم يستمر زواجه الثانى من الكاتبة النمساوية فريدا أوهل غير سنتين ، واستغرق زواجه الثالث ثلاث سنين ، عاش بعدها ما يقرب من عشر سنين بلا زواج ولم يجد سترندبيرج فى حياته ما يحميه من هذا كله غير الكتابة الإبداعية التى بدأها وهو لا يزال يدرس فى الجامعة وكان أول إنتاجه مسرحية بعنوان "طريد القانون" اتجه بعدها إلى العمل بالتدريس ، ثم إلى التمثيل والصحافة .

وأتاحت له وظيفة أمين مكتبة دار الكتب الملكية أن يتوسع فى قراءة الآداب والفلسفة وعلم النفس ، وقد تجلت آثار هذه القراءات فى مؤلفاته .

وقبل أن يلقى أوجست سترندبيرج بكل ثقله على التأليف المسرحى أصدر كتاباً عنوانه "الشعب السويدى" حقق له مجداً فى بلاده ، دفعه بعد ذلك إلى كتابة مجموعة من المسرحيات والقصص القصيرة

التى تعرى نفوس الأفراد وآفات المجتمع ، وتهاجم التقاليد السائدة ، خاصة ما يتصل منها بالزواج .

ويشعل صراع الطبقات بين السادة والعبيد ، والصراع بين الرجل والمرأة ، جانباً أساسياً فى هذا المسرح ، وفيه يدين سترندبيرج انحلال الطبقة الارستقراطية ، كما يدين سطوة المرأة ، وجموحها من وجهة نظر المجتمع .

ولعوامل الوراثة والتربية والبيئة أثرها فى تكوين الشخصيات .

ثالثاً- المسرحية:

أما المسرحية "رقصة الموت" عام (١٩٠١م) فهى ، لواستثنينا مسرحية "الآنسة جوليا" ، من أفضل أعماله . يتناول فيها سترندبيرج حياة زوجين متنافرين ، يعيشان فى جزيرة نائية . الزوج الكابتن إدجار ، طاغية فى سلوكه ، يعامل زوجته أليس أسوأ معاملة . ولم تسلم الزوجة هى الأخرى من العيوب التى تؤدى فى علاقتهما الزوجية إلى اختلاط الجنس بالنقود ، أو الحب بالمقت .وحين يستعرضان حياتهما الماضية لا يقصدان بها إيضاحها وتفسيرها ، وإنما يقصدان بها جلد الذات .

غير أن النقود والمقت بعد ربع قرن من الزواج التعس ، يغلبان فى النهاية ما عداهما من مشاعر .

وعندما يتلاشى الجنس والحب من حياتهما تماما ، لا يبقى لديها إلا العداء والكره السافر ، وهو ما يفضى بها إلى الوحدة التى يرى سترندبيرج أنها تترصد الإنسان . وتمثل هذه الوحدة سمة عامة فى المسرح الأوروبى الحديث وليس فى مسرح سترندبيرج وحده .

وبمجيء كورت ابن عم الزوج إلى هذه الجزيرة لكى يبنى فيها حجرا صحيا ، يتكشف لنا عند التقائه بالزوجين ، مجموعة من الحقائق ، منها أن كورت هو الذى أغرى الزوج بالزواج من أليس ، وهاهو يدافع عنها إزاء هذا الزوج الذى يعلنه بأنه بسبيل طلاقها وبذلك يتعين عليها مغادرة البيت فلا تجد الزوجة سلاحا تدافع به عن نفسها إلا تهديد هذا الزوج بأنها ستشى للسلطات بمخالفات كان قد ارتكبها ، منها التلاعب فى ميزانية الحكومة .

وأثناء تأهب الزوجة لمغادرة البيت مع ضيفهما كورت الذى يشتبه فى علاقة حب خفية بينها ، يشرع الزوج بسيفه فى وجه زوجته حتى يجهز على كل شيء .

إلا أن نوبة قلبية مفاجئة تداهمه ،يفقد فيها الوعى ، ويسقط على الأرض ، بما يجعل الزوجة تعطف عليه . ويستأنفان الحياة معاً وليس فى هذا الموقف ما يتعارض مع الطبيعة الأنثوية التى يمكن ان تستأنف الحياة بعد أن تكون قد تعرضت للإساءة من زوجها .

ولكن لأن الطبع غلاب ما يكاد الزوج يسترد عافيته ، حتى يتجلى الشر من جديد ، ويمتد هذه المرة إلى آلان ابن كورت الذى أحب ابنته جودث ، وعمل هذا الأب على التفريق بينهما ، واتهم زوجته أليس بأنها وراء حب ابنتهما جودث لآلان .

وتحت تأثير هذا النزاع الجديد بين الزوجين ، الذى يعمق من الخلافات الحادة بينهما ، يتعرض الزوج لأزمة قلبية أخرى ، يروح ضحيتها ، وأليس تمعن النظر فيه ، آسفة على ما فقدت ، وعلى ما سيعيبها فى الأيام المقبلة من وحدة بعد رحيل زوجها .